آثار التحقيق
على الأسير

Support to Human Rights Defenders in Palestinian Territories and Israel

الفصل الثالث:

التوقيف / تعريف

- الواقع الجديد وآثار التحقيق على الأسير.
- الإجراء القضائي

البوسطة.

زنازين الانتظار.

قاعة المحكمة.

- قفص الاتهام.
- رؤية الأهل.

محطة التوقيف:

تأتي هذه المرحلة منذ اللحظة الأولى للاعتقال ويكون فيها رهن التوقيف إيذانا للدخول في المراحل التي تلي هذه المرحلة، فعندما نتحدث عن محطة التوقيف هذا يعني أننا سنتناول هذه المحطة بعد انتهاء المعتقل من محطة التحقيق، والبدء بالمرحلة الثانية والانتقال إلى الحلقة الأخرى من مسلسل الاعتقال الذي يدار بإتقان من قبل منتجي ومصممي هذا المسلسل الإجرامي والعدائي (المخابرات الإسرائيلية) فبعد الانتهاء من فترة التحقيق ينتقل المعتقل من الأماكن التي وجدت وخصصت لهذا الغرض، أي زنازين وأقبية التحقيق ليلتحق بركب من سبقوه من معتقلين آخرين مروا في نفس الطريق التي سلكها، وعند دخول المعتقل السجن يبقى بانتظار ماذا سيحدث معه، وفيما مضى حتى اللحظة من ما واجهه ومر فيه عبر حلقة مضت من مسلسل الاعتقال، وفي هذه المحطة يكون المعتقل في حالة من الإرباك وكذلك التفكير الدائم والسؤال الدائم والمستمر عن ما سيلاقيه أمام المحاكم العسكرية الإسرائيلية، وكذلك يكون بانتظار ما له من المخابرات والنيابة العسكرية العامة عبر لائحة الاتهام التي ستوجه له ويحصل عليها من خلال وصوله إلى تلك المحاكم، وتمتاز هذه المرحلة بكثرة استدعاء المعتقل إلى المحاكم وعدم استقراره في مكانه، وهناك يتسلم المعتقل لائحة اتهامه، وعادة ما يكون بداخل هذه اللوائح المقدمة ضد المعتقلين، هي بنود تم الحديث فيها من قبل المعتقل عند التحقيق ويكون أيضا بنودا مضافة ترتئيها المخابرات بضرورة وجودها داخل هذه اللوائح وفي بعض الأحيان تكون لوائح الاتهام للمعتقلين جاهزة من قبل المخابرات ومن دون علم المعتقل ما تحتويه هذه اللوائح، إذن هناك يستلم المعتقل كتابه، فحينها تبيض وجوه وتسود أخرى، فالوجوه التي تسود هي من خاضت الامتحان بصعوبته ولم يحالفها الحظ في النجاح، وأما الأخرى فهي التي خاضت المعركة بكل شراستها وعنفوانها وتحدت أسئلة الامتحان الصعبة، بأجوبة جعلت من مجيبيها في منطقة الأمان وكذلك جعلت من التحدي أسطورة لكسر قاعدة تبناها واضع الأسئلة والمراهن على أنه لا أحد يجتاز امتحانه الذي وضعه بنجاح، فمحطة الاعتقال محطة قد تطول على المعتقل وقد تكون عكس ذلك، فمدتها الزمنية مبنية على طبيعة وقضية المناضل وظروف اعتقاله وكذلك المحاكم العسكرية الإسرائيلية والادعاء العام والأهم من ذلك محامي الدفاع عن المعتقل، والذي بدوره سيتولى الدفاع عن المعتقل في تلك المحاكم وأمام عدو يتربص به في كل لحظات محاكمته لإنزال أقصى العقوبات بحقه.

• الواقع الجديد وآثار التحقيق على الأسير:

وأما أهم ما يميز هذه المحطة الجديدة على المعتقل وآثار التحقيق عليه فهي:

١. شعور المعتقل بأنه أخفق وتم خداعه بالأساليب الحقيرة المستخدمة من قبل المخابرات وألاعيبهم في التحقيق، لا سيما وإن كان المعتقل تم ممارسة أسلوب العملاء السريين عليه (العصافير) مما يسبب ذلك له حاجز نفسي بينه وبين المناضلين الشرفاء داخل السجن ويبقى هذا الشعور ملازما له لفترة طويلة في محطته الاعتقالية الجديدة.

٢. كثرة البوسطات أي السفريات والتنقلات التي تمارس عليه من سجن لآخر من مصلحة السجون الإسرائيلية، وما ذلك إلا لإرهاق المناضل وإرباكه باستمرار لتتولد لديه فكرة عدم الشعور بالراحة والاطمئنان والشعور بأن الاستقرار والراحة التي كانت ترافقه خارجا قبل مرحلة الاعتقال ذهبت بغير رجعة، ولإرهاق المعتقل لكي يسارع في طلب إصدار الحكم عليه، لكي يرتاح من آلام هذه السفريات وهذا ما سنتطرق له لاحقا.

٣. كثرة خروجه إلى المحاكم والمحامي والصليب، وما يصاحب ذلك من عدم استقرار في نفسيته وتفكيره الدائم في قضيته وكيفية قضاء فترة محكوميته وهذا ينعكس على مجمل وضعه وسلوكه داخل السجن.

٤. الشرود الذهني والتفكير الدائم بالخارج والأهل وكذلك الاستقرار.

٥. شعور المعتقل بالضيق والعجز عند لقاء أهله على شبك الزيارة وشعوره بالإحراج منهم وذلك إن كان قد اعترف بأمور لضابط المخابرات أو غيرهم.

٦. عدم استغلال الوقت بالشكل المطلوب والتعامل مع الوقت لساعات طويلة في انتظار المستقبل، وأهم فصل في هذه المحطة بدايتها على المعتقل وعدم التأقلم واستيعاب المناضل لها، ولما حصل معه متخذا الصعوبات الجمة التي واجهها في بادئ الأمر وانتقاله إلى واقع جديد لم يألفه ولم يرغب المكوث فيه، ولم يتمناه يوما،

ولم يتصور أن يكون يوما في هذا الواقع المنعزل والمغلق بعيدا عن مظاهر الحياة الإنسانية التي يألفها.

٧. شعور المعتقل بأن فرص العطاء والبذل قد أغلقت وأن طاقاته الثورية التي اعتاد عليها في خدمة وطنه وأبناء شعبه قد تلاشت، بحكم الظروف التي أحاطت به وعدم قدرته على الاحتكاك لا مباشر مع أبناء شعبه والتأثير عليهم والتواصل معهم، وأن نضاله مقتصر على حرب البقاء وتحسين وضعه الشيء الذي تفرضه عليه وتضيقه وتتحكم فيه مصلحة السجون الإسرائيلية، والتي هي في طبيعة الحال جزء لا يتجزأ من الاحتلال، وكذلك تحسين وضعه الثقافي وبناء ذاته لمراحل نضالية أخرى قادمة، وفي هذه المحطة الجديدة يتعرف المعتقل على مناحي الحياة الاعتقالية ويدرك تماما حينها وبشكل ملموس مدى الظلم الواقع، والذي وقع على الآلاف من أبناء شعبنا الفلسطيني أثناء وقوعهم في الأسر من قبله، والبطش والمعاملة السيئة الممارسة بحق الأسير من قبل مصلحة السجون، والخناق والتضييق المفروض عليهم، والذي يأتي عبر ترتيب من المؤسسة الأمنية الإسرائيلية وكذلك الأوساط السياسية العليا للدولة العبرية، ونذكر هنا بتصريحات المدعوة (تساحي هنقبي) وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي وقوله عندما دخل الأسرى الفلسطينيين في العام ٢٠٠٤/٨/١٥ إضرابهم عن الطعام وذلك لتحسين ظروف حياتهم ومعيشتهم ورفع الظلم الواقع عليهم، عندما قال متبجحا ومتحديا لكل ما نصت عليه الأعراف الدولية من قوانين لحماية الأشخاص والأسرى ومتجاوزا وهادما كل ما يتعلق بحقوق الإنسان وعلى مرأى من كل العالم وعبر شاشات التلفزة الفضائية عندما قال: (فليموتوا جميعا فأنا المسؤول وليذهبوا للجحيم) ويبقى المعتقل الفلسطيني ملاحقا من قبل المخابرات الإسرائيلية أينما وجد موقوفا كان أو محكوما فهم لا يتوانوا للحظة واحدة من النيل منه والإيقاع به في شباكهم، وكثيرا من الأسرى أعادتهم المخابرات الإسرائيلية إلى زنازين التحقيق بعد الانتهاء منها أو تم عزلهم في زنازين انفرادية معزولة وبعيدة عن التواصل والاحتكاك مع المعتقلين، وكذلك كعقاب للمعتقل وإذلاله، ونشير هنا بأن مدة العزل التي تقع على المعتقل تتجاوز السنتين والثلاثة سنوات، ويكون الأسير في هذه الفترة وحده مع جدران زنزانته الضيقة وبقدر ما تكون هذه المحطة مربكة للمعتقل وعد استقرار له، فهي أيضا ممزوجة بعذاب آخر ومن نوع ثاني بلازم الأسير حتى يصدر الحكم عليه من قبل المحاكم العسكرية التابعة للاحتلال، ليكون قد انتقل

إلى المحطة الأخيرة من محطات المسلسل المعد له وهي مرحلة ما بعد القضاء ومكوثه داخل السجن لينخرط من عقد حياته خلف القضبان وتلك الأبواب الموصدة ما أرادت له المخابرات في الأساس منذ اعتقاله وإعلانه على لسان ما يسمى بالقضاة الذين يرتدون الزي العسكري وتحرسهم حملة البنادق من الجنود الإسرائيليين.

سنتطرق إلى هذه المحطة أي القضاء في سياق دراستنا إلا أن الألم والعذاب والاضطهاد الذي يقع على المعتقل في هذه المحطة يتمثل بصعوبة السفر من وإلى المحكمة وطريقة التعامل معه والتي يلقاها على أيدي وحدات النحشون، وآلام القيد الذي يرافقه لمدة عشرة ساعات سفر متواصلة وكذلك واسطة النقل والمسماة بالبوسطة.

- الإجراء القضائي:

١. البوسطة:

هو مصطلح يطلق على واسطة النقل التي تقل الأسرى من سجن لآخر وكذلك إلى المحاكم العسكرية الإسرائيلية، وهي عبارة عن صندوق حديدي مغلق من كافة الاتجاهات ومقسمة على طريقة زنازين ولكن من حديد وبداخله كرسي حديدي مصممة بشكل مائل للأمام، بحيث لا تمكن المعتقل بأي نوع من الراحة ما دام وهو جالس على تلك الكراسي حيث أن الكرسي يوجه فيه ثقوب مخرمة تطبع على جلد المعتقل إثر جلوسه عليها وتبقى ملازمة له، وآثارها على جسده لمدة ما يقارب الأسبوع.

النحشون:

هي وحدة من الشرطة العسكرية الخاصة، والتي تأخذ من الزي العسكري الأخضر لباسا لها، وهي المسؤول عن نقل الأسرى من السجون إلى المحاكم العسكرية وكذلك نقل الأسرى بين السجون، ومعظم أفراد هذه الوحدة يتم اختيارهم على صلابة الجسد وضخامته، ومعروف عن هذه الوحدة قساوة التعامل مع المعتقل، ويشار في اللغة العبرية بأن كلمة نحشون تعني الرجل القوي المقدام.

إن بوسطات نقل الأسرى بين السجون المختلفة وبين السجون والمحاكم تعد أيضا من وسائل الإذلال والتعذيب للأسير الفلسطيني، إذ أن جنود وحدة النحشون التي تشرف على عمليات النقل للأسرى تتعمد التحرش بالأسرى، كما أنهم يقومون بنقل المعتقل أو الأسير مكبل اليدين والرجلين دون ترك أي نوع من المسافة بين اليد والأخرى، وكذلك الأرجل، وإن فترة النقل بالبوسطة تستمر أحيانا إلى خمسة أو ستة أيام يزور الأسير خلالها كل السجون الإسرائيلية قبل عودته إلى السجن الذي هو محجوز فيه، وتخلل البوسطة النوم في أماكن ينزلوا إليها الأسرى ومن ثم مواصلة السير بهم، فالأسير يمضي ساعات طويلة في حافلة النقل والمسمى بالبوسطة دون أن يزودهم جنود النحشون بالماء أو الطعام أو حتى السماح لهم باستخدام الحمام لقضاء حاجتهم، وكذلك غالبا ما يتعرض الأسرى للسباب والشتم والكلام البذيء والضرب أحيانا يقدم عليه النحشون اتجاه المعتقل المكبل، وفي هذا السياق سنقوم بتوضيح كيفية التعامل مع الأسير أثناء نقله وكذلك سنتعرف على كيفية النقل ذلك الأسير الموجود في قبضة جنود النحشون، وأما إذا عدنا لتلك الرحلة والذي يطلق عليها الأسرى (رحلة العذاب والألم) وعندما يتم نقله بين السجون أو إلى المحاكم العسكرية إلا أنه في كلا الحالتين سينقل عبر البوسطة وبمرافقة وحدة النحشون له، وفي وبمرافقة وحدة النحشون له، وفي هذا السياق سنلمس وبدقة العمل الممنهج والمبرمج الذي يمارس لإذلال الأسير الفلسطيني والنيل منه وبشتى الطرق والوسائل المتبعة والممارسة من قبل الأوساط السياسية الإسرائيلية على الأسير، والمتمثلة في إصدار القرارات للجهات التي تتعامل مع المعتقل، وما يتلقى الأسير أثناء اعتقاله ووجوده في الأسر، إنه وبكل ما يحدث معه يبقى ويكون طي الكتمان وبعيدا عن الإعلام لفضح ما يمارس بحقه من قبل سلطات الاحتلال، وكذلك عدم متابعة المحامين واهتمامهم له، يبقى في حالة تفرد كاملة لتلك السلطات، ولا يستطيع أحدا أن يبين ويفضح وبشكف ملابسات تلك السياسة القذرة التي

تماري على الأسير إلا الأسير نفسه، ويأتي ذلك بقدر ما يستطيع الأسير من تواصل مع مؤسسات حقوقية وإنسانية، وكذلك لأي جهات سياسية خارجية، هذا إن حالفه الحظ ونجح في إيصال ما يريده ما يمارس عليه من سياسة الحقد والعداء له، وحصل بأن مصلحة السجون الإسرائيلية كشفت نوايا أسرى أرادوا إيصال صوتهم إلى الخارج وفضح ما يتعرضون له على أيدي أفراد هذه المصلحة التي تشرف على السجن، وكان مصير الأسير العزل الانفرادي بعيدا عن كل بني البشر وليس فقط المعتقلين فحسب، وللدخول في تفاصيل الأسير وانطلاق البوسطه به، حيث أن لحظة انطلاق البوسطة تأتي عادة في ساعات الصباح المبكرة، ويجمع المعتقلين حينها في زنازين خاصة أعدت لهذا الغرض في كل سجن على حدى، وذلك في انتظار جنود النحشون للقدوم ونقلهم إلى المكان المراد الذهاب إليه إما إلى المحاكم العسكرية أو عملية نقل للأسرى بين السجون، ونشير إلى أنه وعند نزول الأسرى من غرفهم التي يقبعون فيها إلى الزنازين السالفة الذكر، يخضعوا لعملية تفتيش دقيقة، جسدية وكذلك للأغراض التابعة لهم، وذلك على أيدي السجانين الموجودين داخل كل سجن وكذلك نبين بأن السجانين يقومون بإنزال الأسير من غرفته دون أن يعطوه وقتا لتناول وجبة الإفطار، أي أن المعتقلين يكونون في الانتظار وفي حوالي الساعة السادسة صباحا، وإن أرادوا التأخر في إنزاله فيأتون بعد ذلك بنصف ساعة، ويجب أن يكونوا داخل زنازين الانتظار في ذلك الوقت، وعادة تبدأ وحدات النحشون في نقل الأسرى مبتدئة من سجون الجنوب أي تبدأ من سجن نفحة الواقع في صحراء النقب في أقصى جنوب البلاد ومن ثم تتجه نحو سجني بئر السبع وأوهلي كيدار لنقل المعتقلين المتواجدين في الانتظار هناك داخل الزنازين، ومنذ البدء وحتى الوصول إلى بئر السبع تكون قد أصبحت الساعة حوالي الثامنة والنصف، وبعد ذلك يخضع المعتقلين لتفتيش يصل أحيانا إلى درجة العري على أيدي جنود النحشون، ويقيد الأسرى من أيديهم وأرجلهم بواسطة قيود حديدية، ومن ثم تنطلق بهم البوسطة إلى سجن آخر لنقل الأسرى المتواجدين في زنازين انتظاره، ويمارس على جميع الأسرى

نفس الأسلوب الذي مورس على الأسرى في سجن نفحة وبئر السبع، وقد عمدت وحدات النحشون على الزج بسجناء جنائيين داخل البوسطة مع الأسرى السياسيين، ومن المعروف عن السجناء الجنائيين عدم الاحترام للغير ولا ضوابط عندهم في التعامل مع الآخرين وسوقية ألفاظهم إلى أبعد الحدود، مما أدى إلى الصدام في بعض الأحيان من قبل المعتقلين السياسيين في طريق البوسطة، ودائما يكون في هذه الحالات خط النحشون ما عمل اتجاه السجناء الجنائيين في الوقوف إلى جانبهم، ونشير إلى أن السجين الجنائي يصعد إلى البوسطة غير مكبل، بعكس الأسير السياسي الذي يكون مكبل اليدين والقدمين، وكذلك يوجد بحوزته الماء والسجائر بعكس ما هو محرم على الأسير السياسي، وعمدت وحدات النحشون وبشكل ملحوظ على إخراج السجناء الجنائيين في بوسطة الأسرى وخصوصا في شهر رمضان المبارك، بحيث يخرج معهم ما تم ذكره سالفا من ماء وسجائر وفي بعض الأحيان الطعام، فكل ذلك يأتي ويندرج تحت سياسة العداء للمعتقل الفلسطيني وإذلاله حتى بشربة الماء وكسرة الخبز وسجادة صلاته الممنوعة عليه أثناء البوسطة، والتي قد تقيه شر الثقوب المخرمة في كراسي البوسطة الحديدية، ونوضح هنا بأن البوسطة تستغرق من الوقت ما يقارب السبع ساعات والأسير يبقى بداخلها مقيد اليدين والرجلين، ولا يسمح له بقضاء حاجته ولا كذلك بشربة ماء أو تناول حبة داور للمرضى، فبعد الانتهاء من جميع المعتقلين من كافة السجون يتوجهون بهم إلى مكان في سجن الرملة معد لهذا الغرض، ولكي يبقى الأسرى هناك تلك الليلة وينقلوا مرة أخرى في صباح اليوم الثاني باتجاه المحكمة الواقعة في معسكر عوفر، وللتنويه هناك أيضا استفزازات جنود النحشون للأسرى وهم داخل البوسطة مقيدين فلا حدود لها، ويتعمد الجنود أثناء سير البوسطة وبسرعة فائقة إلى كبح فرامل البوسطة على مراحل وفترات متعددة، وذلك من شأنه إزعاج الأسرى وتعذيبهم، وكير من الحالات تضررت من ذلك الأسلوب، لأنهم لا يستطيعون التمسك من القيود الموضوعة في لأيديهم، وكذلك أرجلهم، فالزنزانة المخصصة للمعتقلين في سجن الرملة

تتسع لثلاثة معتقلين فقط ويكون واحد منهم على الأرض، إلا أن جنود النحشون يتعمدوا ويجبرون الأسرى على إدخال خمسة أسرى وأحيانا يصل العدد إلى ستة معتقلين داخل الإكس الواحد ، وهذا يعني أن المعتقلين يكونون في حالة اكتظاظ شديد ، ويتناوبون الأدوار في نومهم وذلك في الساعات الممنوحة لهم قبل بزوغ الفجر لإكمال رحلة العذاب إلى المحكمة العسكرية، وما بين ألم البوسطة وعذاب الإكس الذي يتواجد فيه الأسرى، فأحلاهما مر فالمعتقل يحاول أن يخرج بنفسه من الوضع الأصعب فيها رغم صعوبة ما سيلاقيه عن الانتقال فعلى الأسير أن يكون مستعدا داخل الإكس ومنتظرا يكون لحضور جنود النحشون في ساعات الصباح الأولى، فرغم الانتظار والنهوض المبكر يتمنى المعتقلين ويكونوا في حالة الجاهزية التامة من أجل إخراجهم من هذا المكان بأسرع وقت ممكن، مفضلين عذاب وألم البوسطة على البقاء فيه، وعادة كما دخل الأسرى لهذا المكان يخرجون منه وبنفس الإجراءات التي تتخذ بحقهم، سلاسل وقيود في الأيدي والأرجل وتفتيش من جديد وتكون في وضع أكثر دقة من لحظات دخولهم إليه، ونوضح هنا مسألة بأن وحدات النحشون المرافقة للمعتقلين لا تفرق بين معتقل مريض أو آخر جريح وأخر سليم معافى، فتعمد إلى التضييق في التعامل مع الأسير المريض أو الجريح أكثر من الأسير السليم والمعافى فلا مرضه ولا إصابته وجروحه النازفة دما تشفع له من أن يتعامل معه هؤلاء على الأقل بأسلوب متطابق وحالته الصحية، لا بل ويقيدونه بالقيود الحديدية والتي تتعب كاهل الأسير العادي المعافى وليس المريض والجريح وكذلك هناك أسرى ذوي حاجات خاصة فمنهم المبتورة أعضاء من أطراف جسده ومنهم المكفوفين، وهم بحاجة لرعاية رفاقهم الأسرى الآخرين في التنقل ومساعدتهم في حمل أغراضهم، فلا يسمح النحشون لأي أحد بمساعدة هؤلاء الأسرى إلا في حالات نادرة يكون السماح للأسرى بمساعدتهم، بل وفي كثير من الأحيان يتركوهم وحدهم ويجعلوا منهم موضع السخرية بالقهقهة الفاضحة عليه، مما يثير ذلك الغيظ في قلب هذا الأسير صاحب الحاجة والذي لا حول له ولا قوة، مما

يجعله يتحدى فقدان بصره ويسير بنفسه دون إرشاد من أحد ومن دون مساعدة،مواجها كل المخاطر التي قد تواجهه وعبء القيد الذي يلازمه أثناء سيره، وكذلك الأسرى الذين يخرجون إلى البوسطة ويكون بحوزة جنود النحشون ملف كامل لكل واحد منهم حيث يكون موضح فيه نوعية الدواء الذي يتلقاه أي مريض، ووجوب أخذه إلا أن النحشون يقومون بأخذه من الأسير ويمنعون عنه الدواء أثناء سفره في البوسطة مما يجعله يعاني من ألم مرضه ويكون في حالة صراخ مما يعاني منه، إلا أن صرخاته لا تلاقي آذانا صاغية له لمنحه الدواء أو شربة ماء، بل يلاقي فقط كلمة تطلق بالعبرية من جنود النحشون (شيكت) ومعناها العربي أسكت، هذا عدى عن السباب والشتائم التي تنهال عليه باللغة العبرية وكثير من الحالات هذه حصلت أثناء سفري في البوسطة ولا تقدم للأسير أي نوع من المساعدة الطبية ولا الإنسانية، وفي مثل هذه الحالة إذا ما تدخل الأسرى الآخرين لمناصرة رفيقهم الذي يتلوى من شدة ألمه داخل البوسطة فيكون عقابهم الجماعي جاهز، وما هو إلا كبسة زر يتحكم فيها جنود النحشون من قمرة قيادة البوسطة، حيث أنه يوجد في البوسطة ما يسميه بالمكيف الهوائي ويا ليته يستخدم لهذه الغاية، والتي صمم من أجلها ، إنما يستدخمان كعقاب للمعتقلين هنا داخل البوسطة، أي أنه إذا كانت الأجواء حارة فإنهم يديرون ذلك المكيف ويطلقون له العنان في بث الهواء الساخن جدا، بحيث يجعل الأسرى في حالة من عدم تحمل هوائه الساخن فهو أشيه بلهب النار المتصاعد ، وتارة يديرونه ليبث الهواء البارد فورا بعد توقف الهواء الساخن، وأما إذا ما كانت الأجواء باردة خارجا يعمدوا على استخدامه بعكس ما هو مستخدم صيفا ، ليكون في حالة بث كتل من الثلج تلفح وجوه وأجساد الأسرى التي تفتقر للملابس لتحميهم من شدة البرودة المطلقة عليهم ، والتي يواجهونها من ذلك المكيف، وعودة إلا الانطلاق للمحاكم العسكرية، فعند وصول الأسرى إلى تلك المحاكم ، فينساقوا في طابور واحد تلو الآخر وعلى شكل مجموعات، كل مجموعة لا تتعدى الخمسة أسرى وذلك على أيدي الوحدات الخاصة من النحشون المدججة بالسلاح

الناري والمعبأ بالذخيرة الحية على الدوام، حيث أن إبهام كل منهم لا يفارق زناد بندقيته أثناء سير الأسرى ونقلهم، وبانقضاء محطة البوسطة وعذابها يكون هناك في انتظار المعتقل محطة أخرى من محطات الألم والعذاب، وهذه المحطة قد تكون عند المعتقلين هي من أصعب المحطات ألما ومهانة، إنها زنازين الانتظار الموجودة في المحاكم العسكرية.

٢. زنازين الانتظار في المحكمة:

هناك في ساحة المحكمة العسكرية والتي تسمى بمحكمة عوفر العسكرية، والواقعة داخل معسكر للجيش الإسرائيلي، توجد خمسة زنازين خصصت لوضع الأسرى السياسيين بداخلها، والقادمين من مختلف السجون المركزية، تمهيدا لدخولهم إلى قاعة المحكمة ومقابلة قضاة الاحتلال ونيابتهم العسكرية، وما سيوجه إليهم من تهم تكون معدة من قبل المخابرات الإسرائيلية وكذلك النيابة العسكرية، والزنازين هذه عبارة عن غرف صغيرة الحجم، بل لا تتشابه مع الغرف إلا بالاسم فقط، حيث أن الزنازين الخمسة موضوعات بشكل متقابل وبينها يأتي مردوان بفصلها عن بعضها البعض ويتواجد فيه جنود النحشون، ويبلغ عرضه حوالي المترين حيث يبلغ مساحة كل زنزانة على حدى ما يقارب ٢،٥×٢،٥م ولا يوجد بداخل تلك الزنازين أي نوع من التهوية، حتى أنه لا يوجد فيها أي شباك ولو كان صغير الحجم على الأقل لإدخال الهواء ليتنفس من خلاله الأسرى أو الشمس، وعادة ما يكون لها رائحة تشبه رائحة الكهوف المهجورة والمعروفة بشدة رطوبتها وبرودتها، ويوجد في كل زنزانة باب حديدي مصفح وفيه شباك صغير الحجم لا يتجاوز ٢٠×١٠سم ومكانه في أسفل الباب وهو ليس لإدخال نسمة هواء للأسرى وإنما لغاية تقييد الأسرى وفك قيودهم من خلاله عند إخراجه للمحكمة وأثناء عودته، مع أن الأسير يترك في الزنزانة والقيود في قدميه وتبدأ وحدة النحشون المتخصصة في نقل الأسرى الفلسطينيين وزجهم داخل هذه الزنازين بعد إخضاعهم لعمليات تفتيش دقيق بالأيدي وكذلك عبر ماكنة كهربائية بحوزتهم تحمل باليد، حيث يكون العدد داخل كل زنزانة من تلك الزنازين من ١٠-١٢ أسير وأحيانا يصل العدد إلى ١٥ أسير، مما يحيل الأسرى داخل الزنازين في وضع صعب للغاية ولا يسر صديق، والجدير بالذكر هنا بأن الزنازين من الداخل فارغة ولا يود فيها أي شيء لغرض الجلوس عليه مما يجعلهم في حالة جلوس على الأرض، وبشكل انحرافي لكي تتسع لهم جميعا، وننوه بأن تلك الزنازين تكون شتاء باردة جدا ولا يتحملها جسد الإنسان، فهي

كما ثلاجات الموتى أو فرازات الخضار والفواكه في حالتها، وأما صيفا فهي عالية الحرارة وكأنها تستخدم لعملية صنع الوقود الذري وفي كلا الحالتين يكون الأسرى بالعدد المذكور سالفا داخلها، عدا عن أن معظم الأسرى يتناولون سجائرهم هناك ويكونوا في حالة تدخين مستمر بعد أن حرموا من سجائرهم منذ خروجهم ولحظة انطلاقهم من سجونهم، ونستطيع القول بأن حالة الزنازين من الداخل ودخان السجائر المتكدس فيها أشبه بضباب الوديان المنخفضة في فصل الشتاء، فمحطة عذابهم الجديدة تبدأ منذ لحظة دخولهم هذه الزنازين وإغلاق أبوابها عليهم، فيبقى الأسير يصارع برودة جدرانها أو حرارتها العالية ويبدأ التحكم في الأسير عندها بأبسط الأشياء وهو خلف هذه الأبواب وتمارس عليه الأساليب الحقيرة التي يتبعها جنود النحشون بحق الأسير لكي يزيد من ألمه ومعاناته، مما يجعله في حالة من السخرية والإذلال أمام جنودهم مجنداتهم وصوت ضحكاتهم وهي تتعالى في الرد على المعتقل، حيث يعاني المعتقل داخل هذه الزنازين من أمرين أساسيين ويبقيان هم بلازم المعتقل ما دام وهو في داخل هذه الزنازين، بعيدا عن أي عذابات أخرى ترافقه أثناء سفره ومروره بعدة محطات حتى يعود إلى مكانه الذي خرج منه.

- منع المعتقل من التبول:

من سخرية القدر بأن يصبح الإنسان الفلسطيني لا يستطيع قضاء حاجته إلا بإذن، هذا إن استطاع أو حصل على الأمر، كلما داهمته حاجته أو أراد إفراغ كيس مثانته المنتفخ، وهذا يعني بأنه لا يسمح للأسرى الذهاب إلى الحمام إلا مرتين في اليوم وفق ساعات محددة يحددها جنود الحراسة من النحشون، وفي تلك الساعات المحددة والتي تبدأ من الساعة الحادية عشرة ظهرا للمرة الأولى، وكذلك الثانية عصرا للمرة الثانية، ومن هنا يأتي التحكم في الأسير والتلذذ في عذابه، فالمعتقلين هم بحاجة إلى هذه الغاية وكذلك هم بحاجة ملحة لخروجهم إلى الحمام، إلا أنهم يقابلون بالرفض وعدم إخراجهم من داخل الزنازين وإن خرجوا في الساعات المحددة، فإن قيودهم تبقى معهم ولا تفك من أقدامهم وأيديهم في بعض الأحيان، فخروج الأسير وعدمه يصبحان سيان، لأنه لا يستطيع مساعدة نفسه والقيود تكبل يديه وقدميه، وفي بعض الأحيان يؤثر الأسير و يتحدى الصبر بعينه لكي لا يخرج إلى الحمام خوفا من عدم تدبير أموره هناك، ونشير بأن الأسرى يقبعون داخل هذه الزنازين من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء وأحيانا حتى الساعة السابعة، وكثير من الأسرى اضطروا لعمل حاجاتهم داخل الزنزانة، وذلك لمنعهم من الخروج

إلى الحمام، ونشير أيضا أنه ورغم وجود ساعات محددة للخروج إلى الحمام فهم يتعمدوا المماطلة في إخراج الأسرى ولا يأتي إلا بعد معاناة ومناداة طويلة على هؤلاء الحراس، للقيام بتلك الغاية وتذكيرهم الدائم بها، لقد أصبحت دورة المياه طريقة وأسلوب للتحكم بالأسرى وإذلالهم في قضاء حاجتهم والتي أصبحت خاضعة لمزاج جندي الحراسة وليس إلى حاجة المعتقل لها، وكذلك الوقت الممنوح للأسير إن تم خروجه إلى تلك الدورة فهم يمنحوه من ثلاثة إلى خمسة دقائق فقط وتحت الحراسة بالسلاح وهو مقيد، وإن احتاج الأسير لدقيقة زيادة عن الوقت الممنوح يبدأون بالضرب على الباب من الخارج وهو بداخل الحمام، وعادة ما يصاب المعتقل داخل الحمام بالحصر البولي من مراقبة الجنود ومجندات النحشون له ومتابعتهم المستمرة له ويعود إلى زنزانته كما خرج منها.

- الطعام والماء:

ما ينسحب على المعتقل من تحكم بقضاء حاجته وذلك من قبل السجان، وهو بداخل زنزانته مقيدا، ينسحب عليه في شربة الماء التي تبل ريقه وتطرد ظمأه، وكذلك لقمة الطعام التي تقدم إليه، حيث يخرج المعتقلين من معبار الرملة المكان الذي يجمع فيه الأسرى، استعدادا لنقلهم إلى المحكمة وكما وضحنا سالفا يتم النقل في الساعات الأولى من الصباح، ومن دون أن يتناول الأسير وجبة فطوره، حيث أنهم ينقلون من هناك ماربن بكل الأماكن الأخرى قاطعين المسافات الطويلة، ولم يقدم لهم أي نوع من الطعام هناك، وفقط يأتيهم الطعام في حوالي الساعة الواحدة أو الثانية ظهرا، أي أنه يأتي في ميعاد إعداد وجبة الغداء لمعتقل عوفر القريب من المحكمة، ويقومون بإحضار الطعام من هناك، فعند توزيع الطعام على الأسرى داخل زنازينهم لا يجدون أي من الأواني يضعون طعامهم فيها وكذلك يقدم الأكل على شكل مجموعات وبدون أي واسطة للأكل وإنما الأسرى يبدأون الأكل بأيديهم، وننوه بأن الأكل غير كافي للعدد الموجود من الأسرى، وكثير ما رفع من قبل الأسرى حول هذه الأمور من شكاوى إما للمحاكم أو لمدراء السجون كل على حدى وسنوضح لاحقا شكوى تقدم بها أحد الأسرى حول هذا الأمر وحول كيفية تعامل النحشون مع الأسرى، وأما شربة الماء فلا تقدم للأسرى إلا بشق الأنفس وبعد جهد يبذلونه في طلبها من جنود الحراسة أو بعد صياح مستمر من الأسرى والحاحهم في طلب الحصول على الماء، وكثيرا ما تم الاعتداء على بعض الأسرى لأنهم أصروا في طلبهم للحصول على شربة الماء ولرفاقهم الآخرين ومن الجدير بالذكر هنا أنه يوجد أسرى مرضى ولا يستطيعون تحمل حرارة الزنزانة العالية بدون تناول الماء، وكذلك برودتها الشديدة بدون لباس يقيهم شدة البرد الموجودة في الزنازين، وكذلك هم بحاجة

الآخرين لمساعدتهم في قضاء أمورهم وهذا ما لا يسمح به من قبل جنود الحراسة الذين يتولوا أمر المعتقل من وإلى السجن الذي يخرج منه الأسير.

على الرغم من كل ما يمارس على الأسير الفلسطيني من عذاب وما يلقاه من ألم وإذلال على أيدي السجانين، وكذلك من جنود النحشون أثناء نقلهم للأسرى بين السجون وإلى المحاكم، يلجأ الأسير وعبر ممثليه أي ممثلي المعتقل وكذلك الوطنية العامة، إلى الاحتجاج لمدراء السجون وكذلك رفع الشكاوى إلى المحاكم لتنظر في أمر التجاوزات التي تتم بحقهم، وفي العادة إن معظم الاحتجاجات التي يقوم بها الأسرى ومن خلال ما ذكر سالفا ممثل الأسرى لإدارة السجون، لا تأخذ بالحسبان وكل دعواتهم تبقى لحظية وبدون تطبيق أو تنفيذ مما يضطر الأسرى إلى اللجوء إلى المحاكم للسير عبر القانون في وضع حد لمعاناتهم، إلا أنه وبكل أسف في كثير من الأحيان إلا ما ندر من القضايا يقف القضاء بجانب المشتكى عليه أي مديرية السجون كان أو وحدة النحشون مما يعطيهم المبرر الأقوى والدائم في التواصل بالسياسة المتبعة بحق الأسير، وكذلك يمنحوا الحق القانوني بأنه مهما فعلتم بحق الأسير أو مهما صدر منكم اتجاهه، هنا وعبر هذه المحاكم تسقط كل الادعاءات، وتكمن هنا خطورة الوضع الذي يكون فيه الأسير، فعندما يكون القضاء الإسرائيلي مجيرا لصالح من يشرفون على الأسرى ومسير في خدمتهم ويكون درعا واقيا لهم ولحمايتهم في كل ما يمارسونه على الأسير من عذاب والإذلال وحرمانه من حقوقه ينادى السجان ويكون في حالة من التعامل مع الأسير بدون ضوابط يقف عندها، وكثير من الحالات داخل السجون وصلت لدرجة القتل للأسير في ظل الحق الذي منحه القضاء الإسرائيلي للسجان وتعامله مع الأسرى، وفي هذه الحالة تكون الضحية الأولى والأخيرة هو الأسير نفسه.

- قفص الاتهام:

هو المكان الذي المخصص لوضع الأسير فيه داخل قاعة المحاكمة، حيث يخرج المعتقل مقيد اليدين والقدمين من زنزانة الانتظار التي تقع خارج المحكمة والتي تحدثنا عنها سالفا، ويسير الأسير أثناء خروجه متجها إلى قاعة المحكمة مسافة لا تقل عن ٢٠٠ متر، حتى بلوغه المكان الذي خصص له داخل القاعة، فعندما يصل المعتقل إلى قاعة المحكمة يقومون حراس وحدة النحشون بإدخاله إلى القفص المشار إليه

أعلاه، ومن ثم يقومون بفك قيود يديه ويبقون على القيود التي تلف قدميه على حالها، وفي حال الانتهاء ينتشرون من حول القفص الذي يتواجد فيه المعتقل وكذلك حول العائلات التي حضرت لمشاهدة أبنائهم من خلال المحكمة، والانتشار يكون موصولا لوحدات النحشون حتى على أبواب المحكمة، بأسلحتهم النارية بحيث أصابع كل واحد من الحراس المنتشرين داخل القاعة لا تفارق بندقيته أبدا، ولزاما علي هنا أن أوضح ما يقومون به النحشون من سلوك وتصرف متعمد مع الأهالي، وذلك من أجل إبقاء الأسير الموجود في حالة من الكبت وإشعاره بمدى ضعفه حينها وبأنه لا يملك من أمره شيئا، حتى رؤية الأهل فقط يحصل عليها حسب ما يرتئيه السجان الحارس عليه، فعادة ما يتعمد هؤلاء على تأخير دخول الأهالي الذين تواجدوا خارج قاعة المحكمة لمشاهدة أبنائهم ويكونون في حالة انتظار للسماح لهم بالدخول إلى قاعة المحكمة، فوحدات النحشون يقدمون على ذلك لكي لا يتمكن الأسير من رؤية ذويه والاطمئنان عليهم، وفي المقابل عدم تمكن الأهل من الاطمئنان على ابنهم المعتقل وإبقاء الطرفين في حالة قلق دائمة، وفي جو يسوده التوتر والحيرة، أما وإن قاموا بإدخال الأهالي إلى قاعة المحكمة، فإن مدى مكوثهم قد لا تتجاوز الخمسة دقائق، وبدخول قضاة المحكمة إلى القاعة يخيم الصمت التام بداخلها، ليعلنوا من على منصة ما يسمى القضاء عن أولى مشاهد المسرحية والتي تندرج تحت عنوان «المحاكم العسكرية الإسرائيلية» وذلك لمحاكمة المعتقل الفلسطيني المتواجد داخل قفص الاتهام الماثل قسرا أمام هؤلاء القضاة، وإلصاق التهم به، بغير وجه حق لكي يبقوه أطول فترة من الزمن داخل سجنه المغلق والمعزول عن العالم البشري، ولكي يقتلوا بداخله روح الحب لوطنه ويسلم بأمر الاحتلال الذي وقع عليه، وهم يدركون تماما قضاة ونيابة عسكرية كانت أم غيرها من المسميات الزائفة بأنهم جزء لا يتجزأ من الاحتلال الذي ناضل هذا المعتقل ضده قبل وقوعه في الأسر، لكي يرحل عن الأرض الفلسطينية ويعود من حيث أتى، وهم يدركون جيدا بأن الذي يحاكم مدركا بأنهم حلقة مكملة لذلك الاحتلال الجاثم على صدورنا منذ زمن بعيد، لكنهم يحاولون قلب الحقيقة بمحاكمتهم بأن المعتقل هو المعتدي وأنهم هم الضحية لاعتدائه.

- رؤية الأهل:

ينطلق الأهل مع انطلاق الساعات الصباحية الأولى، متجهين إلى مكان تواجد محاكم الاحتلال والتي سيجلب أولادهم المعتقلين إليها، يأتي الأهل قاطعين مسافات طويلة متجاوزين خلالها الحواجز الإسرائيلية

التي تقطع أوصال الوطن عن بعضه البعض، وذلك من أجل أن ينعموا برؤية أبنائهم ويطمأنوا عليهم، وكذلك في المقابل المعتقل نفسه، فهو يكون في حالة من اللهفة العارمة لرؤية ذويه ولا سيما وأن معظم الأسرى ممنوعين من زيارة الأهل، فلعل النظرة التي تتكحل بها عيون كل من الأهل أو الأسير للآخر، تعيد الروح في كليهما من جديد، وتذهب القلق والخوف الذي يرافق النفس طيلة فترة الغياب عن الأعين، وكم لتلك الرؤية من أهمية عند الأهل وكذلك الابن المعتقل، وكم لها من وقع إيجابي وراحة وسكينة على النفس، فمع تلك اللهفة الجامحة في لقاء الأحبة وأثناء اللقاء يظهر وجه قبيح يبشر بالشؤم ليحول دون رؤية الأهل ويعكر صفو النفوس عند اللقاء، ويحولها إلى خوف دائم وقلق مستمر، يأتي النحشون بوظيفته التي هي أحقر من كل الوظائف، ليكونوا الساتر العازل بين الأسير وذويه لكي يتمكن من رؤيتهم أو الحديث معهم، وهناك أهله من داخل القاعة وإخراجهم عنوة إلى الخارج، وحرمان الابن المكبل من رؤيتهم، وليس فقط الحديث معهم، هذا عدى عن العقاب الذي ينتظره بعد خروجه من قاعة المحكمة والذي يلاقيه على أيدي هذه الوحدات من ضرب وإهانة وامتهان للكرامة بإخضاعه للتفتيش العاري، ليكون بذلك محط سخرية واستهزاء لهؤلاء الجنود، وعادة الأسرى الفلسطينيون يحاولون تدارك هذه الإهانات أو إيجاد أي مبرر لتلك الوحدات للنيل من الأهالي أو الاحتكاك بهم، ويقدمون على الحديث مع ذويهم بالإشارة فقط وتحريك الشفاه لبعضهم وإيصال ما يريدونه عن طريق نظرات عيونهم، لتتحول بذلك القاعة وتصبح أشبه بصف لتعليم لغة الخرسان بين الأسير وذويه، عندما يلتقون والمدة لا تتجاوز الخمسة دقائق هناك، وفي هذا السياق أورد الأسير حسن نعمان في مقالة له عبر صحيفة القدس عن هذا الأمر قائلا: «يا ليتنا كنا تعلمنا لغة الخرسان، حيث انتقل لاستخدام الإشارة في الحديث مع زوجته، حاول جاهدا إيصال ما يرغب بإيصاله عن طريق حركة العيون وحركة الأصابع، ردود فعل زوجته لم تشف غليله، واضح أنها لا تفهم ما يقصد، لم تجعله يشعر بأنها فهمت مراده، ربما لم يكن ممثلا جيدا، بدأ يخاطب نفسه وربما يلومها، كان عليه أن يحسب حساب هذه اللحظة ويتعلم طريقة الحديث بالإشارة هو وزوجته»[1].

أهمية الحركة الأسيرة على الأسير:

١ الأسير حسن نعمان، سجن نفحة المركزي، يا ليتنا تعلمنا لغة الخرسان، جريدة القدس، ٢٠٠٥/١١/١١.

مثلت عملية الأسر جهدا حثيثا من الاحتلال وأجهزته القمعية لضرب بنى ومكونات الحالة الوطنية وعنصرها الأساسي المتمثل بالإنسان، والمساس داخل الأسر بعلاقة هذا الإنسان وبقية عناصر ومكونات الثقافة اطل ونية المقاومة، إلا أن الوعي والإدراك المبكر لدى الطلائع الأولى في السجون للنوايا المبيتة والمضمرة، من الاحتلال ضدهم، دفعهم لرفع شعار مثل فيما بعد القاعدة المركزية والمنجز داخل الأسر، فما أن أطلق الأسرى الأوائل مقولة «أن السجون هي خنادق متقدمة في مواجهة الاحتلال، واستمرارا للعملية النضالية ومعركة التحرر الوطني» حتى باشروا ببناء واقع اعتقالي يتلائم مع معطيات وظروف المواجهة والمعركة المفتوحة، ويوائموا بين السجن والخندق ويحافظن على الاستعداد ويطورون من قدرات المقاتل الأسير، المتخندق في السجن على الرغم من اختلاف وسائل وأوراق المعركة ومستلزماتها ... لكن هذه التحولات والمتغيرات التي أجريت بإرادة القوة في سنوات السبعينيات سرعان ما فرضت نفسها لا على الواقع فحسب بل تعدته إلى شخصية الأسير ذاته مستثيرة فيه قوة الإرادة أثناء أسره وترافقه فيما بعد تحرره مشكلة أداة صقل وبلورة لشخصية المناضل الفلسطيني الثوري الملتزم ببنى وهياكل تنظيمية يترجم من خلالها آفاقه عالية اكتسبها وطورها وأفادته في كافة مناحي حياته حتى في قدرته على بناء ورعاية مؤسسة اجتماعية أسرية متفاعلة وناجحة في محيطها ... فكيف تأثرت الشخصية الفردية بالتحولات البنيوية الجماعية ؟!

وهل كانت التغيرات في الحركة الأسيرة قائمة على تراتيب معينة ...؟

- خلق واقع تنظيمي...

مثلت الفوضى والانفلاش، التحدي الأول والأكبر الذي واجهه الكوادر التنظيميون من الفصائل الوطنية المختلفة، الأمر الذي وضعهم في عملية مقاومة مستميتة للحفاظ على هوية الأسرى المقاومين بالدرجة الأولى من الإذابة في محيطهم من السجناء الجنائيين وتسييرهم وإدارتهم من قبل مخابرات مصلحة السجون، وبدرجة ثانية حرصت التنظيمات الثورة، جميعها على البحث عن بيئة تمكنها من استكمال نشر أفكارها وأيديولوجيتها وتعبئة أفرادها وإدارة شؤونهم مع تزايد عدد الأسرى وتعاظم الثورة وازدياد عدد المنخرطين في فصائلها، دخل التنظيميون – الحزبيون – صراعا وصف أنه كان دمويا في مراحل معينة، استخدم فيه العنف المفرط تجاه الفوضويون والمنفلشون من جهة، وتجاه السجانين والسجناء الجنائيين من جهة أخرى، حتى استطاعت المنظمات فرض حضورها وابعاد الجنائيين

وإقصائهم نهائيا عن دائرة حضور الأسرى الثوريين، وإخضاع الفوضويون لقوانين نابعة من اللوائح الداخلية للفصائل، وأجبرت إدارات السجون على التعامل والاعتراف بالأطر التي أوجدت وبالشخصيات التنظيمية والوطنية التي أمسكت بقيادة التنظيمات أو المؤسسة الوطنية العامة ... إن تزايد الأفراد رافقه حاجة للأطر والهياكل المنسجمة والمدعومة من القوانين والأنظمة الداخلية نصا أو المستنبطة منها، حتى تحقق الأهداف المتوخاة والغايات المنشودة في عملية اتصال تراعي حقيقة ولادة هذه التنظيمات بكل مقوماتها داخل حالة أمنية خاصة ومعقدة ومعادية ...

الأسرى منذ مطلع الثمانينيات حتى اليوم استطاعوا بفضل فرض التنظيم الانسجام سريعا مع واقعهم والاستفادة بمستوى أعلى من سابقيهم ممن خاضوا النضال لترسيخ وجود التنظيم، فكان إقامة الواقع التنظيمي رفع إلى مستوى عالي حرية إدارة الحياة داخل السجن وترجم على الصعيد الفردي بإعطاء مساحات واسعة من الديمقراطية، فترجم الأسرى صورة القانون والنظام الوطني العام الذي يسعون لإحلاله، فكان قانون الاحتلال وفي ذات الوقت وبقدر غير قليل بحث الأسرى عن ذاتهم في النظام وحجم استفادتهم الشخصية من النظم في إدارة شؤونهم الخاصة، لنجد أن المئات من المحررين مارسوا بنجاح كبير بناء وإدارة الأشكال المختلفة من التنظيمات سواء الفصائل أو الأحزاب السياسية، او العمل الرسمي في الوظائف العامة بعد إناء السلطة، ومنهم الكثيرين نجحوا في إقامة نظامهم الخاص في جمعيات ومؤسسات اقتصادية، اجتماعية أو خدماتية، الواقع التنظيمي وجد انعكاسه في سلوك الفرد داخل الأسر في البيئة الجماعية وفي سلوكه الشخصي بعد التحرر في حياته الخاصة...

- خلق واقع ثوري...

بالنظر إلى طبيعة الأسرى في سنوات السبعينيات والثمانينيات، نجد غالبيتهم من فئة واحدة، هي المجموعات العسكرية أو من يمكن وصفهم برجال الكفاح المسلح، هؤلاء وباعتبارهم الرعيل الأول الذي حمل السلاح وماري العمل العسكري فقد كانت شخصياتهم مصبوغة بمفاهيم ثورية عنيفة ولم يستطيع الأسر التأثير فيها، إن لم يكن قد ساهم تجميعهم في السجون في تعزيز قناعاتهم واندفاعهم الثوري، وباتت السجون بالنسبة لهم حاضنة لأفكارهم الثورية ومدرسة تغذي

في العقول والقلوب، الإيمان بالثورة وبحتمية النصر، وأن الكفاح المسلح أو الثورة الشعبية المسلحة هي إستراتيجية التحرير، بل أن الأسرى شاركوا في تجنيد الثوار والمقاومين، الواقع الثوري الذي فرضه الأسرى داخل السجون والتعبئة والشحذ المستمر لثقافة المقاومة حبل من القيم والمسلكية الثورية هي المسيطرة والسائدة في السلوك والممارسة الجماعية والفردية داخل الأسر، وبالتالي فقد كان تكريس الواقع والمسلكية الثورية عاملا شديد التأثير في الصفات الشخصية للفرد، لازمته ورافقته بعد تحرره، وكانت صورته وصفاته هذه أداة استقطاب للشباب من جهة وحافزا لاستمرار المسيرة النضالية من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك فلقد كانت المسلكية الثورية المكتسبة من واقع يمثلها كالصدق والأمانة والالتزام والإخلاص وغيرها من الصفات، محببة وأكثر قبولا للمجتمع والجمهور الفلسطيني، المسلكية الثورية المأخوذة من بيئتها النموذجية، «السجون» شكلت منهجا وطريقة حياة بنى عليها المحررون مستقبلهم.

- خلق واقع ثقافي وأكاديمي:

إذا كانت الثورة إيمان وقناعات يمارسها الإنسان لتغيير الواقع، فإنه بالتأكيد يجب تعزيز هذا الإيمان والقناعة لدى القائمين على الثورة والمنخرطين فيها بأسس وقواعد فكرية وعلمية تضمن بقاء الأعضاء «الأفراد» ملتفين حول الفكرة «الثورة» وبرنامجها وأهدافها، ولترسيخ وتثبيت أصول وأسس التعبئة الفكرية والعلمية سارع الأسرى لبناء هياكل وأطر خاصة تتولى مسؤولية التعليم والتثقيف قام عليها نخبة من أصحاب المستوى التعليمية العالي والكوادر المؤدلجة، عبر كل المراحل التاريخية للحركة الأسيرة أعلنت حرب ضارية ضد الأمية والجهل وفي الوقت الذي صارت فيه الثقافة العامة بديهية في الأسر، تطور التعليم الأكاديمي ممن تعلم اللغات المختلفة وبعض المواد الأكاديمية على أيدي ذوي التخصص الذين وجدوا في أوقات وسجون مختلفة إلى البحث بعد ذلك عن شهادة الثانية العامة والحصول على امتياز التعليم الجامعي عبر المراسلة وهو ما أنجز في التسعينات في الجامعات العربية والأجنبية والذي لم يتحقق حتى الآن على الرغم من وضعه في رأس مطالب إضراب ٢٠٠٤، الثقافة التعليم الأكاديمي في الأسر عزز من صلابة وقوة الثورة وواقع الأسر الجماعي والأفراد الذين حصل المئات منهم على محو الأمية واللغات، والمئات على شهادة الثانوية العامة والعشرات أنجزوا شهادة البكالوريوس، و إعداد طلبة الماجستير في تزايد، بالتأكيد لسنا بحاجة لشرح أهمية هذا الإنجاز

الكبير على المستوى الشخصي للأفراد وانعكاسات التعليم والشهادات عليهم وعلى دوائر علاقاتهم ومجتمعهم، يكفي أن السجون باتت تعرف في المجتمع الفلسطيني على أنها جامعات وأكاديميات، لنقول أن الحركة الأسير نجحت أكثر من المتوقع في بناء وتطوير الواقع والشخصية...

- خلق واقع اجتماعي أسري ...

على الرغم من تعريف السجن بأنه واقع مغلق، إلا أن الحالة الفلسطينية فتحت فيه الكثير من أبواب العلاقات الاجتماعية، وطورت رمن مفاهيم النخبة المناضلة للعلاقة الإنسانية، فقد حرص الأسرى منذ بداية تطوير الواقع الاعتقالي إلى إشباع أجواءه بتعريضات جديدة بشكل العلاقة بين أفراد المجتمع المتشكل خارج إطار الصورة الكلية للمجتمع الإنساني، وفي حين كان يفترض أن تؤثر ذكورية المشهد على نفسية المناضلين بشكل سلبي وأن تبعث فيهم الإحباط وتضفي على طباعهم الشخصية وممارساتهم السلوكية خشونة زائدة وقسوة بعيدا عن مجالها الطبيعي، إلا أن قوة البنى التنظيمية وقدرتها الفائقة على إنفاذ القوانين الوطنية والفاعلية الكبير، للمؤسسة التثقيفية ساقت المجتمع الذكوري إلى نوع من العلاقات الاجتماعية وجد امتداده التلقائي والسريع خارج أسوار الأسر، فمن علاقات الصداقة والأخوة والرعاية الأبوية بين أصحاب الفوارق العمرية الكبيرة، إلى علاقات وطيدة بين الأسرى والعائلات وصلت في حالات عديدة حد النسب والمصاهرة أو الكفالة الاجتماعية، وأعطت للأسرى ثقافة واسعة ومتنوعة في بناء ورعاية الأسرة، ورفعت في وعيهم من قيمة العائلة وأهميتها واستعدادهم للحفاظ عليها، العاطفة الجياشة التي كشفت ذاتها بين الجدران الإسمنتية كان المستفيد الأكبر منها هو الأسرة الفلسطينية، بكل أفرادها – الآباء والأخوة والزوجات والأبناء- واستطاع الأسير المحرر وبتفوق بناء مؤسسة أسرية ناجحة تسودها العاطفة المتدفقة وبذات الوقت الواعية والمدركة للدور المنوط بها في إطار مجتمع أوسع وحالة وطنية خاصة...

في المحصلة قد لا يستطيع الإنسان البعيد ن الحالة الاعتقالية قرائتها على هذا النحو وربما أن أصحاب التجربة هم أكثر من سواهم قدرة على تعريفها وشرحها بتفاصيلها، إن الرؤية الفلسطينية للأسر وتأثيره على النخب المناضلة أمر مدرك بحكم الاحتكاك المباشر مع الحالة، كما يبرز

أثر الإنتاج ألاعتقالي للخصية في كل زوايا الوطن،ت فلا يكاد يخلو حي أو زقاق أو عائلة من تجربة اعتقالية هي صورة للحركة الأسيرة الفلسطينية، لقد استطاع الثوريين أصحاب الفكر الوطني والإيديولوجيات المتعددة بناء تجربة رائدة في الثقافة الإنسانية التحررية داخل مساحات ضيقة ومغلقة خاضعة لأقصى درجات الإجراءات الأمنية وتمكن الأسرى وبريادية أحداث تحولات في المستويات الثقافية والتنظيمية وحافظوا باقتدار على اندفاعهم الثوري وتميزهم في التطور نحو الأفضل في كافة المجالات.

القدرات العالية للكوادر مكنتهم من نقل آلاف الشباب الفلسطيني نحو الانخراط الواعي في مساحة الثورة والتحرر وفي فترات لاحقة شكلوا نواة بناء المؤسسة الرسمية للكيان الفلسطيني، ولم يكونوا بعيدين عن مؤسسات المجتمع المدني مئات الشخصيات والأسماء البارزة في المشهد الفلسطيني من وزراء وبرلمانيين ومسؤولين كبار في المؤسسة الأمنية، هم إنتاج الحركة الأسيرة، وليس غريبا أن ترى محررين أمضوا سنوات طويلة في مؤسسات وجمعيان حقوقية وإنسانية فالتجربة الاعتقالية كشفت لأصحابها جوانب في شخصياتهم لم تكن مدركة، ونمت لدى العديد منهم أبعاد أوسع لنضالهم.

النضال الذي مارسه طلائع الأسرى لفرض مفهوم التنظيم واقامة واقعهم الخاص آتى أكله على كل النواحي الثقافية، والأكاديمية، الاجتماعية، والثورية، وجعلوا من الحركة الأسيرة حاضنة حقيقية لإنسان فلسطيني يعي أكثر دوره في مجتمعه ووطنه، ويسعى دائما لتحقيق أهدافه الخاصة الغير منفصلة أبدا عن العام.

لقد كان بناء الحركة الأسيرة، المرحلة الرئيسية لبناء الأفراد وتأهيلهم لبناء مجتمع ودولة، ستكون قائمة وحاصلة بجهد كل قطاعات الشعب الذين يشكل منهم الأسرى المحررون عددا وأداء نسبة ليست بالقليلة.

The EU is not responsible for the contents of communication material prepared by contractors, implementing partners or international organisations. These must therefore include the following disclaimer in their publications:
"This publication has been produced with the assistance of the European Union. The contents of this publication are the sole responsibility of Popular Struggle Coordination Committee and can in no way be taken to reflect the views of the European Union

EUROPEAN UNION

Project co-funded for the European Union